المقـــدمـــة

بســم الله الرحمــن الرحيــم

وبــه نستعيــن، إنــه نعــم المعيــن

اقتضت حكمة الله أن يعمر هذا الكون بمخلوقاته التي لا نستطيع لها حصراً ولا عدّاً، ثم اقتضت أن يكون سيّد هذه المخلوقات وأكرمها، ومن أجل أن يستمر عمار الكون خلق الذكر والأنثى، وسنّ الزواج بينهما.

وقد وضع الإسلام قواعد وقوانين تنضبط بها علاقة الرجل بزوجته، وعلاقة الزوجة برجلها، هذه القواعد والقوانين والمبادىء أعلنها الإسلام صريحة واضحة في كتاب الله ﴿القرآن﴾، وفي أحاديث رسول الله ﷺ، فمن سار وفقها وعلى هديها سعد في الدارين، ونال رضى الله في الدنيا والآخرة، ودخل جنات النعيم.

ولمّا كانت المرأة، في كثير من الأمور، تتصرف وفق عاطفتها المشبوبة، دون النظر إلى العقل في مثل هذه التصرفات، التي قد تؤدي بها إلى المزالق، نشط علماؤنا في توضيح القواعد والمبادىء الإسلامية التي تخصُّها، في علاقتها مع ربها، ومع زوجها وأهلها.

وممن نشط في تبيان وتوضيح تلك القواعد، الحافظ أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ
فوضع كتابه أحكام النساء، هذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارىء.

كنت قد حصلت على مخطوطة منه، من أحد الإخوة الذين زاروا تركيا، وبقيت المخطوطة في مكتبتي، دون قراءة أو اهتمام إلى أن رأيت الكتاب مطبوعاً في لبنان دون تحقيق أو تخريج للأحاديث التي استشهد بها المصنف ابن الجوزي.

وقبل ذلك كنت قد قمت بتحقيق رسالة للسيوطي هي: «إسبال الكساء على عورات النساء» بالاشتراك مع الدكتور خالد عبد الكريم جمعة، ولاتفاق الكتابين في الموضوع نشطت إلى تحقيق كتاب ابن الجوزي، «أحكام النساء».

وقد علم الله كم الجهد الذي بذلته في عملي فيه والوقت الذي استنفده مني.

ولظروف خارجة عن إرادتي، لم نقم بعمل الفهارس الفنية للكتاب، التي لابدّ منها، واكتفينا بفهرس عام للموضوعات فيه.

وقد قمنا بمقارنة المخطوط بالنسخة المطبوعة، وأثبتنا ما رأيناه صواباً، وقد قمنا بتخريج الأحاديث من مصادرها، كما حاولنا أن نبين مراجع بعض القضايا الفقهية، هذا، ونسأل الله أن يسدد خطانا في خدمة دينه، وتوضيح مبادئه وقواعده، فما أردنا بعملنا هذا سوى وجهه الكريم، هو مولانا ونعم المعين.

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جابر الوهن والكسر، ورازق النمل والنسر، المغني بوابل القطر القفر. أحمده حمداً يدوم بدوام الدهر، وأشهد له بالوحدانية في السرّ والجهر، وأصلّي على رسوله المشروح الصدر، الذي نسبة فضله إلى الأنبياء كالنجوم والبدر، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه إلى يوم الحشر، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد،

فإني تفكرت في سبب إعراض الناس عن ذكر الآخرة، فوجدته من قلة الفهم، ورأيت أحد العوام يشغل ولده حين ينشأ بالمعاش، ولا يعلّمه واجبات العبادة ولوازم المعاملات، فيتقلب الولد في طلب الدنيا، ولا يعلم أخبار الآخرة، لا يعرف فرضاً من الفرائض، ولا يردّ لجامه عن الهوى ألف رائض، فإن أفلح، وحضر مجلساً من مجالس القصاص فربما سمع منهم أحاديث الرخص الباطلة، فخرج مصرّاً على الذنوب، ويقول: ربي كريم.

وربما أسمعوه أخبار الزهاد، كمعروف[1]، وبشر[2]، والجنيد[3] في زهدهم

---

(١) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ (ت ٢٠٠هـ)، ولد في بغداد ومات فيها. الأعلام: ٨/ ١٨٥.

(٢) هو بشر بن الحارث بن علي المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي (ت٢٢٧هـ)، من الصالحين الزهاد. الأعلام: ٢٦/٢.

(٣) الجنيد بن محمد البغدادي الخزار، أبو القاسم، شيخ المتصوفة، كان عالماً باللغة والشعر. الأعلام: ٢/ ١٣٨.

وهو بعد لم يعرف الواجبات، ولا تعلق من ذلك بطائل، فإن علق بشيء علق بما الجهل أحسن منه، وهو أنّه يفهم من كلامهم أن المقصود ترك الدنيا، ولا يعرفونه ما المتروك فيها، فينفرد في زاوية، ويخلّي معاشه، ويضيع عائلته، ولا يستفيد في تلك الزاوية إلاّ ما تستفيده البهيمة من حبِّها[1] في الإصطبل؛ لأنه خلا بجهله ولا علم معه.

وربما تهيَّأ لتسليم الناس عليه، والتبرك به، لموضع انفراده، وربما تخشّع كأنه خرج من معاينة بخبر عن مشاهدة، وربما هام في البوادي سائحاً، فيضيع الفروض، ويترك[2] العيال، فعلمت أنّ أصل هذه الآفات الجهل بالعلم.

وما أزال أحرض الناس على العلم؛ لأنه النور الذي يهتدى به. إلاّ أني رأيت النساء أحوج إلى التنبيه من هذه الرفدة من الرجال؛ لبعدهنّ عن العلم، وغلبة الهوى عليهنّ بالطبع؛ فإن الصبيَّة في الغالب تنشأ في مخدعها لا تُلقَّن القرآن، ولا تعرف الطهارة من الحيض، ولا تُعلَّم أيضاً أركان الصلاة، ولا تُحدَّث قبل التزويج بحقوق الزوج، وربما رأت أمّها تؤخّر الغسل من الحيض إلى حين غسل الثياب، وتدخل الحمّام بغير مئزر، وتقول: ما معي إلاّ أختي وابنتي، وتأخذ من مال الزوج بغير إذنه، وتسحره، تدّعي جواز ذلك لتعطّفه عليها، وتصلي، مع القدرة على القيام، قاعدة، وتحتال في إفساد الحمل، إذا حبلت. إلى غير ذلك من الآفات، التي سنذكر منها ما يدلُّ مذكوره على مغفلة، إن شاء الله تعالى.

فإن أفلحت، وحضرت مجلس القصاص، كان أردأَ لها وأضرَّ عليها من جهة التبرج، وافتتان الناس بها، وافتتانها برؤية الأحداث، وتارة من جهة القصاص؛ فإن القصَّاص اليوم يعطون مكان الدرياق سمًّا، وينشدون أشعار العشق والغزل، فإذا صادف ذلك قلباً فارغاً تمكن منه، وعسر زواله.

ولا يتعَرضون لتعريف الواجبات، ولا بالزجر عن المنهيات، وربما رأت الرجال

---

(١) كذا في الأصل، والصواب حبسها.

(٢) في الأصل فضيع الفروض وترك العيال.

يصيحون متواجدين[1]، فصاحت. إلى غير ذلك مما قد نشرحه في كتاب القصاص الجهلة.

فلما رأيت النساء أحوج إلى العلم من الرجال، شرعت في تصنيف هذا الكتاب؛ الذي[2] يتعلق بأحوالهنّ، محتسباً الأجر. ولم أر من سبقني إلى تصنيف مثله.

والنساء، وإن كنَّ معرضات عن العلم، فما يخلو الزمان من صالحة تطلبه. وربَّ خلق كثير خوطبوا بالصواب، فأجاب منهم شخص. ولقد أنذر موسى، عليه السلام، فرعون وقومه، وهم ألوف، فلم يجب منهم إلاّ حرسل[3] وآسية[4].

والله الموفق لما يرضيه، إنه قريب مجيب.

الباب الأول
ذكر البلوغ وبيان حدّه

يثبت في حقّ الغلام بأحد ثلاثة أشياء: الإحتلام، أو كمال خمس عشرة سنة، أو نبات الشعر الخشن حول القُبُل.

وثبت في حق المرأة بأحد خمسة أشياء: الثلاثة التي ذكرناها، والحيض، والحَبَل، فمتى وُجد أحدُ الأشياء في حقّ المرأة، فلتعلم أنّ قلم التكليف حينئذ قد جرى، وأنّ العقاب على ترك الواجبات قد توجّه، فلهذه الفائدة بينّا حدَّ البلوغ.

* * *

(١) فعلها وَجِد وجدة وموجِدة غضب، وبه وَجْداً في الحب، وكذا في الحزن، والتواجد شدة الحزن. القاموس (وجد).

(٢) الذي ساقطة من الأصل.

(٣) هو شقيق آسية امرأة فرعون، وقيل زوج الماشطة، المحبّر: ٣٨٨.

(٤) آسية هي زوجة فرعون، انظر آخر الكتاب ص: ٢٠٢.